من المجسّ صطّوف الأعور الى خطيبته

قصة بقلم شريف الراس

حين قالت المذيعة : « من صطوف الاعور الى خطيبته » كان صطوف ـ الجندي الفحل ـ يضغط بمذياع الترانزيستور الصغير على اذنه ويبتسم ابتسامة هزت اركانه بفرح شامل . لقد عاش ينتظر سماع هذه العبارة اكثر من شهر . وكان يترقب برنامج ما يطلبه المستمعون في مواعيده ، ويصغي الى الاسماء بانتباه شديد : « اذ ربما دفع حظي السيء المذيعة لان تقرأ اسمي مغلوطا » .. وفي الاسبوع الماضي سمع صطوف الاغنية ذاتها ، دون ان تتلو المذيعة اسمه . فاسودت الدنيا في عينيه الاثنتين ـ فهو ليس أعور ـ ولعن الشيطان وبصق على حظه « لا شك في ان رسالتي ضاعت ولم تصل الى الاذاعة » ... لهذا كانت فرحة صطوف الليلة مضاعفة ، اذ تبين له اولا ان حظه ليس سيئا الى هذا الحد الفظيع الذي يتصوره . وثانيا فان خديجة الحسين ، قد تكون استمعت الى هذا .. « من يدري ؟ ففي القرية الف مذياع » .

في اللحظة ذاتها دخل الخيمة المعتمة الرقيب ضرغام ـ وليت كل الرقباء في كل جيوش العالم كانوا مثله ـ وساله هامسا : بشّر ، اذاعوها؟

فاجابه صطوف همسا : اذاعوها ، هس .

فاقترب منه الرقيب العظيم حتى التصق به في هذه العتمة الضيقة، وساله : واذاعوا اسمك ايضا ؟

اجابه صطوف هامسا : نعم . قالت المذيعة من صطوف الاعور الى خطيبته .

فقال الرقيب ضرغام ـ الذي هو أحسن من أخ ـ : عظيم عظيم . سوف تفهم عليك خديجة حتما . اغلق المذياع الان .

ـ ولكنني لصقته باذني ، ولا احد يسمع منه نأمة .

ـ قلت لك اغلقه ، لا تورطنا . لا نريد مشاكل في هذه الليلة العصيبة . اما سمعت تنبيهات الملازم المشددة ؟

ـ ولكنني أريد ان اسمع الاغنية .. القلب معاك ثانية بثانية .

ـ يا صطوف ، اخز الشيطان يا صطوف !

ـ هس .

وصمتا معا وتيبسا تحت الخيمة الواطئة ، تشملهما عتمة ليل لا نجمة فيه . كانا بعيونهما المحملقة في الظلام يتابعان الاصغاء الى وقع أقدام شخص يمر بجانب الخيمة ... قال الرقيب ضرغام هامسا في أذن صديقه : « ربما كان الملازم ذاته » . فلكزه صطوف في خاصرته لكزة معناها « هس يا بني آدم » . لكن كوع صطوف ـ لشدة سوء حظه ـ لم يضرب الخاصرة بل جاء فوق القلب مباشرة . مما دفع الرقيب العظيم لان يصرخ « آخ يلعن .. » ثم أغلق فمه بيده دون ان ينتبه أيضا . وفي اللحظة ذاتها دس حضرة الملازم راسه في الخيمة : « اخرج انت وهو .. اخرجا حالا » . ولو ان أيا منهما مد يده امامه لما رآها لشدة الظلمة ، ومع ذلك فقد رأيا ، وبوضوح تام ، أن عيني سيدي الملازم تقدحان شررا، وانه يضغط اسنانه : « سوف اعلمكما اصول المزاح في مثل هذه الليلة العصيبة » .

قال احدهما : امرك سيدي الملازم .

فصرخ الملازم مزمجرا : اخرس .

وخرجا زحفا ، فقد كانت الخيمة منخفضة جدا ، وخرج معهما ايضا صوت المذياع الصغير الذي لا يزال ينشد نشيد العاشقين : القلب معاك ثانية بثانية .

قال الملازم :ومذياع ايضا ؟ ؟

فاجابه احسن رقيب في العالم : انه مذياعي يا سيدي الملازم .

وقال صطوف : لكنني انا الذي فتحته .

فانتهز احسن رقيب في العالم هذه الفرصة للالحاح على ممارسة فضيلة النخوة وقال : بل انا الذي فتحته يا سيدي الملازم .

قال الملازم : انت وهو . كلاكما ستعاقبان .

* * *

من كان يدري ان الحب الحلو سيوقع صطوف بمثل هذه المشاكل ؟ ثم ما هي جريمة الرقيب ضرغام ؟

قال الرقيب: ها قد اسودت صفحتي بسببك ؟.. من كان يتصور ان أعاقب بالسجن سبعة ايام ؟.. انا ؟ مستحيل .

فقال صطوف : احسبها علي يا حضرة الرقيب . انا كنت السبب.

قال الرقيب العظيم : اياك ان تتوهم بانني امن عليك . انني في سبيل اصدقائي ابذل روحي ولو كنت متزوجا لبذلت لهم اولادي.

ويبدو ان فكرة الزواج نفرت اذن صطوف الممتد فوق القش في سجن التنك ، ثم طارت مثل عصفور رشيق وراحت تلعب تحت سقف التنك فرحة خفاقة. حتى انها اثرت بفرحها ولطافتها على الرقيب العظيم ذاته ، على الرغم من ان لا علاقة له بالموضوع ، وظلت الفكرة المفرحة تتلاعب في ابصار الشابين المتمددين ، ثم انطلقت من الطاقة الصغيرة العالية وذهبت في الكون ، حتى ان صطوف ظنها ذابت مع اشعاعات الفجر الاولى فنهض واقفا يتابع المنظر من الشرق . كان كل شيء ورديا شفافا نديا . قال : اللهكريم .

فساله الرقيب ـ الذي كله مروءة والذي مثله فليكن الاصدقاء والا فلا ـ : وبعد كل هذه المشاكل هل انت واثق من ان خديجة قد فهمت عليك ؟

اجابه صطوف وهو يبتسم : شيء أكيد .

ـ يعني ، بصراحة ، هل تحبك ؟

ـ اما قلنا لك الف مرة انها تحبني ؟

عند هذا الحد وجد حضرة الرقيب أن المروءة تقتضي السكوت، وان من مصلحته الان ان يظل متمددا ، ولكن باسترخاء اكثر ، فوقفراش القش ، وان يتثاءب وهو يتطلع الى اشعة الفجر الاولى التي تتسلل الى سجن التنك من تحت التواءات السقف ، لعله يستنيم بعد هذه الليلة اللعينة . اذ ان عليه ان يواجه غدا ايضا يوما لعينا ، فما جعل السجن للراحة .. ثم ، في الواقع ، ألم يحدثه صطوف الف مرة كما قال الان، عن قصة حبه وما جرى له مع خديجه الحسين التي ما خلق الله أحسن منها جمالا وكمالا واخلاقا ، والتي ـ رغم كل ذلك ـ سمحت لصطوف بان يصورها قبل سفره الى الجندية ولكن الفيلم ظهر محروقا ؟!

قال صطوف الذي لا يزال واقفا يتطلع الى الصباح من الطاقة : ضرغام .

ـ آ . هل انت نائم ؟

ـ هل تفكر في خديجة انت ايضا ؟

ـ لا .

ـ كذاب . بشرفي انك عم تفكر فيها .

ـ صح .

ـ معلهش .. انت فقط يحق لك أن تفكر فيها معي .. أنت أخي

ـ شكرا .

ـ لم يحرق قلبي الا انني فقير.

ـ الفقر ليس عيبا يا صطوف .

فالتفت اليه صطوف وقال : وهل نتحدث نحن عن العيب ؟ . لو كنت أملك من المال ما يكفي طلب أبيها لكنت تزوجتها قبل أن آتي للجندية . ولكن اباها رجل غني لعين ولن يزوجها الا لرجل غني لعين.. آخ بس .

فقال الرقيب ضرغام : طول بالك يا صطوف . من يدري . ربما كانت مكتوبة لك في لوح الغيب .

قال صطوف : هذا مؤكد يا ضرغام . قلت لك انها تحبني. اما حدثتك كيف وقفت أمامي حين صورتها . كانت تبتسم . تحبني ..ولكن لعنة الله على حظي . ظهر الفيلم محروقا .

ثم قال : « حظ » وضرب قبضة يده اليمنى براحة كفه اليسرى.

قال الرقيب العظيم : طلعت الشمس .. تعال نم يا صطوفتعال.

ولا يدري الا الله كيف استطاع صطوف ان يتثاءب ويتمدد فوق فراش القش . ثم تثاءب مرة اخرى وهو يبتسم . ربما خطرت له فكرة لذيذة . اذ حقا من يدري ؟ ربما تكون خديجة قد استمعت الى الاغنية فعلا ؟ « ولكن يا ربي كيف تفهم خديجة ذاتها بانها خطيبتي ؟ وكيف اخترعت قصة الكامرا . الله يلعن الشيطان » . ووجد نفسه ينام

دمشق — شريف الراس

عامل الحقل

أحنى على الغرسة في مهدها
من والد يحنو على طفله

يسبقه الليل الى كوخه
ويسبق الفجر الى حقله

يعمل في الناس لاحيائهم
أيعمل الناس على قتله ؟!

*

ناسك حقل في الثرى عاكف
يحفه ايمانه المثمر

كأنما المحراث محرابه
في الحقل والشمس له مجمر

براحتيه عن كنوز الثرى
تنفتح الاقفال أو تكسر !

*

ان فيأتكم في الربى دوحة
فأنتم نجيون في ظله

لا تخجل الزهرة أن تنحني
وتمسح الاقذار عن نعله

والجدول الرقراق لا يستحي
أن يسكب الماء على رجله !!

فارس سعد